كيف وصلت

العربية إلى المغرب العربي؟

بقلم : د . عبد العزيز بن عبد الله

□□ إن لدخول اللغة العربية قصة طريفة بدأت أدوارها تتشكل منذ ما قبل التاريخ الميلادي حيث انطلق التأثير الشرقي من جبال لبنان إلى قرطاج ، ومنها إلى الربوع المحاذية للمحيط الاطلنطيقي . وإذا اعتبرنا أن دخول الحميريين إلى المغرب هو مجرد أسطورة[1] وضربنا صفحاً عن لوازمها القاضية بأن يكون قسم مهم من سكان الأطلس البربري قحطانيين ، ربما كانوا أعرق في العروبة من سواهم ـ فإن الوجود القرطاجي قد فسح للغة البونية في أرباض تونس ثم في باقي أقطار المغرب الكبير آفاقاً شاسعة تبلورت في وحدة مصطلحاتها مع العامية الدارجة في الشمال الإفريقي . ويتجلى ذلك بصورة واضحة من الرخامة[2] التي اكتشفها الدكتور البرازيلي السيد « ألاديزلو نيتو » وضمنها الجزء الأول من كتابه « الأنطروبولوجية » وهي تحمل تاريخ [١٢٥ق.م] . (أي : بعد أن استولى الرومان على قرطاجنة بنحو عشرين سنة) حيث توجد عشرات الألفاظ والتراكيب مفرغة في قالب عربي مع تحريف لا يخفى حتى على غير الاختصاصيين في فقه اللغة وعلم الاشتقاق . □□

فالفقرة الأولى التي حررت بالبونية هي :

« **هنا احنا بني كنعان فرنم حقرة حمل** » يمكن أن نقلبها إلى عامية الشمال الإفريقي وخاصة التونسية فنقول :

« **هنا احنا من بني كنعان من فرانم حملنا الحقرة** »

ومعناها بالفصحى :

« **هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار** » ففي هذه الفقرة وحدها سبع كلمات لا يوجد فيها أي دخيل ، وإنما هو انحراف بسيط عن الفصحى بسبب الاستعمال العامي المتداول ، على ان **البونية** قد بدأت تتسرب إلى المغرب الأقصى مواكبة دخول القرطاجيين الرسمي حوالي [٤٨٠ق.م] وأكد القديس **أوغسطين** (Saint - Augustin) أنها ظلت متغلغلة في أنحاء البادية المغربية إلى عهد « **الوندال** » أي إلى عهد الفتح الإسلامي ، في حين اندرست لغة الرومان باندراس معالم الحضارة اللاتينية التي تطورت في نطاق محدود لم يتجاوز مثلثاً تمتد حدوده من طنجة إلى « **وليلي** » (Volubilis) إلى شالة ، عاشت جاليته الرومانية في قفص مقفل بعيدة عن المحيط البربري الذي كان يلفها ، وقد اعترف بهذه الظاهرة مؤرخون طالما دعوا إلى « **غربية** » البربر[3] ولكنهم دهشوا أمام هذا التجاوب العميق الذي مهد المفاوز والأوعار البربرية أمام الفتح الإسلامي بانتشار « **لغة قريبة من العربية** »[4] فكلمة قرطاج نفسها معناها : قرية حداش أي : القرية الحديثة ، صحفت إلى قرتاش بتعطيش الجيم كما نطق بها الرومان ، وكذلك **حنبعل** (Hannibal) أصله « **حني بعل** » أي نعمة الله ، وكان اسم أبيه هو **هاملكار** (Hamilcar) أي : « حامي القرية » الذي حارب الرومان في صقلية .

ولقد وصلت إلى المغرب فلول من اليهود انحدرت من فلسطين[5] بعاداتها ولهجاتها فاندرست في قبائل بربرية مثل جراوة ونفوسة وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وفازاز[6] حيث نقلت بالإضافة إلى الديانة الموسوية اللغة العبرية التي تعتبر مع الفينيقية العربية وغيرها الفرع الكنعاني للهجات السامية على أن لغة يهود خيبر الذين انتقلوا إثر الهجرة النبوية إلى الشام والعراق[7] وخاصة المغرب الأقصى كانت عربية صرفة بذرت الجذور الأولى في الأطلس البربري للغة قريش .

وهكذا فلم يكد يصل الفاتح العربي إلى المغرب حتى وجد أشتات البربر في كثير من الجهات قد تبنت عديداً من الألفاظ والتعابير العربية محرفة بالاستعمال العامي ، ومن الصعب أن نحدد ما هية ومدى هذا الدخيل الأصيل بالنسبة لهذا العصر لانعدام المصادر بالنسبة للهجة غير مكتوبة تختلف مفرداتها واشتقاقاتها وأشكالها من ناحية لأخرى بين البربرية الأطلسية والبربرية الريفية « **وتشلحيت** » السوسية ، غير أننا سنرى عند استعراضنا لمظاهر تطور البربرية المعربة في العصر الحديث كيف أن بعض مقوماتها الحضارية الأساسية عربية لا يتصور الباحث انبثاقها في غير عهود قديمة ، ومعلوم أن البربر كانوا قد اخترعوا صور حروف وخط للتعبير عن المعاني في شكل مظاهر طبيعية وكونية ، كالشمس والقمر والنجم والبرق ، وكان عددها أربعة عشر اسمها « **تفناغ** » أي : الحروف المنزلة ، ولها حركات وضوابط تسمى « **تيد باكين** » أي : الدليل على العمل والتوسع ، وهي تكتب كالصور الهيروغليفية من اليمين إلى الشمال والأعلى

• لم يكد يصل الفاتح العربي إلى المغرب حتى وجد أشتات البربر في كثير من الجهات قد تبنت عديدا من الألفاظ والتعابير العربية محرفة بالاستعمال العامي.

والأسفل حسب اصطلاح القبيلة ، ولم يبق اليوم أثر لهذه الحروف إلا عند « **الطوارق** » بالصحراء وخاصة في هكار ، أي : هوارة .

ولم تكن جولة **عقبة بن نافع** الخاطفة في ربوع المغرب من طنجة إلى السوس الأقصى لتترك أثراً قومياً عدا معابد هنا وهناك ، وأساطير ترجع إلى النبع الروحي الذي تركه في نفوس الأجيال مرور زهاء ثلاثمائة من رفاق عقبة من الصحابة والتابعين ، مما يفسح المجال لأسطورة « **رجراجة** » السبعة الذين يقال بأنهم زاروا **الرسول عليه الصلاة والسلام** ، واعتنقوا الإسلام قبل أن يعودوا إلى مسقط رأسهم بجنوب المغرب ، ولعل أول أثر للفتح العربي هو مسجد « **أغمات غيلانة** » الذي يرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٥هـ[٨] بعد أن كان البربر يكتفون بتحويل المعابد التي بناها المشركون إلى مساجد ، ويظهر أن البربر ارتدوا في هذه الفترة اثنتي عشرة مرة عن الإسلام[٩] لأن الدعوة الإسلامية لم تكن قد تمكنت قبل دخول **موسى بن نصير** عام ٨٨هـ إلى درعة وتافيلالت وطنجة حيث عين مولاه **طارق بن زياد** وعززه بحامية من البربر تبلغ اثني عشر ألفاً ، يقوم سبعة وعشرون عربياً بتلقينهم مبادىء الإسلام وتعليمهم القرآن والفقه ، **وكانت هذه هي النواة الأولى للتعريب ما لبثت أن تضخمت إلى ثلاثمائة عندما اتجه القائد البربري لفتح الأندلس موجهاً لجيشه البربري بعد أن أحرق الأجفان التي حملته قطعاً لأمله في التراجع ـ خطبته الرائعة التي كانت أول صرخة بلغة الضاد في المغرب الأقصى :**

« ... أيها الناس : أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ! ... » .

فهل بدأ البرابرة يفهمون العربية منذ هذا الوقت المبكر ؟ إن من العبث الذي ننزه عنه قائداً مسلماً في مثل جدية **طارق** أن يوجه خطاباً خطيراً إلى جيشه الفتي بلغة لا يفهمها ، ومهما يكن **فإن حملة التعريب عن طريق تلقين القرآن ومبادىء الشرع بدأت تتقوى منذ بداية القرن الثاني الهجري عندما اعتلى عمر بن عبد العزيز أريكة الخلافة ، وأوفد مع واليه إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر عام ١٠١هـ ثلة من العرب لاستكمال الدعوة التي كانت قد تعززت في الشمال منذ عهد الوليد بإقامة « مملكة نكور » الحميرية العربية في قلب الريف ، فكانت عاملاً قوياً لتعريب جبال الشمال التي هي امتداد للأطلس : والتي ظلت طوال ثمانية قرون مجازاً للجيوش المتوجهة لفتح الأندلس** ، وازدادت شبكة التعريب اتساعاً بتسرب « **الخوارج** » إلى المغرب للدعوة لأفكارهم التي تمخضت عن ثورة بربرية انبثقت من صفوفها نحلة شوهت أركان الإسلام ووضع متنبئها كتاباً من ثمانين سورة بالبربرية عارض بها القرآن ، وظل دستوراً للبرغواطيين إلى القرن الخامس ، ومع ذلك فإن نتائج الفتح الإسلامي « **تبعث اليوم على الدهشة كما يقول كوتيي**[١١] بعد مرور اثني عشر قرناً بسبب استعراب المغرب على هذا النطاق الواسع » .

وكانت **القيروان** تزخر آنذاك بأثر من مائة وخمسين ألفاً من العرب ، اجتاز منهم أربعون ألفاً إلى الأندلس حيث نقلوا رواسب العصبيات الجاهلية القديمة بين اليمنيين والقيسيين ، فزادوا في تأجيج روح الثورة لدى البربر ، ولكن بالرغم من ضآلة العرب العددية في المغرب الأقصى فإنه ظل متمسكاً بالإسلام ، وما لبث أن انضمت كبريات قبائله إلى المولى « **إدريس الأكبر** » ثم إلى ولده الذي توارد عليه من افريقية والأندلس نحو خمسمائة فارس عربي ، فجعل على رأس مملكته وزيراً أزدياً وقاضياً قيسياً وكاتباً خزرجياً خططوا أسساً قويمة لتعريب واكب انتشار الإسلام ، وكان بناء « **مدينة فاس** » **عام ١٩٢هـ منطلقاً لانتفاضة عربية تعززت حضارياً وثقافياً واقتصادياً بهجرة الأندلسيين والقيروانيين الذين نقلوا عناصر طريفة لتطعيم اللغة مما أدى إلى تبلور الذاتية المغربية في « جامعة القرويين »** وفي عملة وطنية موحدة[١٢] سكت بفاس منذ عام ١٨٥هـ بدل الدرهم العربي ، وبالرغم من الغموض والاضطراب اللذين سادا المغرب إلى أوائل القرن الخامس الهجري فإن حركة التعريب ظلت في ازدهار مطرد بسبب تنافس العرب من الفاطميين والأمويين[١٣]

العربية في المغرب العربي؟

وامتداد حكم الأدارسة في الشمال والغرب بعاصمة « **البصرة** » التي أصبح مجرد اسمها عنواناً من التبادل الناشىء بين بصرة المشرق وبصرة المغرب عن طريق « **سجلماسة** » التي غمرتها عناصر عربية وشرقية[١٤] ولعل من غير المنتظر أن تتسع شبكة نفوذ لغة الضاد تحت ظل الحكم البربري ، أي : في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين .. غير أن العربية انتشرت بالفعل بفضل تصاعد الفكر الإسلامي ونفوذ الأندلس المتزايد حيث أصبح بلاط مراكش ملتقى لرجال العلم والفلسفة والأدب وتعزز هذا الإشعاع بانتشار أفواج العرب من بني هلال وبني سليم في المغرب ، حيث زج بهم الفاطميون بأفريقية بعد أن عاثوا فساداً مع القرامطة في الشام ومصر ، وقد إستقر الأحلاف في المغرب الشرقي وبنو رياح في شمالي فاس ومكناس وبنو جابر في تادلة بشعاب الأطلس الأوسط ، وانبث بنو هلال وجشم الخلط وبنو سفيان في سهول « **تامسنا** » بينما اتجه بنو معقل غرباً نحو المفاوز الصحراوية لتعريبها وتعميم الأعراف واللهجات الجاهلية الصميمة في ربوعها ، وكانت هذه الأفواج عنصر اضطراب قوي ما لبث الموحدون أن واجهوها بالغزو للأكراد الواردين من طرابلس وغمروها ضمن القبائل البربرية كرصيد للجهاد في الأندلس ، وبذلك اندرج العرب في قوام الجيش النظامي الذي تألفت حشوده في عهد المرينيين من زناتة البرابرة ومن عرب سفيان وزغبة وانبج والخلط وذوي حسان والشبّانات ورياح والهبط ، وقد ظلت فلول من العرب تتصارع اجتماعياً وفكرياً مع قبائل البدو البربرية في أغلب الأقاليم ، بينما طفق العرب الرحل ينتقلون في السهول غرباً بعبدة ودكالة والشاوية ، وفي الحدود الجزائرية شرقاً في أولاد الحاج وبني وكيل محتفظين بأصالتهم السلالية ، **فاتسعت بذلك آفاق لغة الضاد وبدأت اللهجات البربرية تتقلص لتنكمش في الأطلس حيث ظلت العربية لغة العلم والدين في المسجد والكتّاب والرباط والزاوية ، وقد شعر الزعيم البربري الكبير عبدالمؤمن بهذا التقلص فنشر « مرشدته » في التوحيد بالبربرية وأقام وعاظاً وأئمة يخاطبون بهذه اللهجة فئة قليلة من المؤمنين الذين بقوا متبربرين في هذا الخضم المعرب**[١٥] .

وهكذا لم يكد ينتصف القرن الثامن الهجري في عنفوان عصر المرينيين حتى كان العرب قد استقروا في المغارب الثلاثة ، **فقلبوا** الكثير من الأوضاع الاجتماعية وصهروا لهجات « **أمازيغ** » تارة تلقائياً وطوراً بالعنف نفسه الذي جبلوا عليه والذي أحنق عليهم ابن خلدون فقرن وجودهم في كل الأعصار بالخراب والدمار .

وظهر في هذه الفترة مع استيلاء السعديين العرب على الحكم عنصر جديد أسهم في تطوير لغة الضاد بالمجتمع المغربي حيث أدى سقوط عواصم الأندلس إلى انحدار سيل من المهاجرين استقروا في الحواضر وانتشروا في البادية انتجاعاً للكسب الفلاحي أو التجارة الجوالة ، فتولد رصيد طريف من المصطلحات الاقتصادية التي غمرت المصانع والمتاجر والمزارع ، أما في الصحراء والأطلس فقد تعززت الحركة الإسلامية التي كانت محصورة إلى الآن في المساجد والكتاتيب بزوايا صوفية ، كالناصرية والدلائية ، بثت بين العامة مثالية السلوك السني عن طريق شرح الآيات والأحاديث النبوية والحكم الصوفية ، ولم يقم لا السعديون ولا العلويون العرب بأي مجهود يستهدف تعريب النواحي البربرية النائية ، لا سيما بالنسبة للبربر الرحل في قنن الأطلس وزايان ومصمودة وزناجة ، لأن الروح الإسلامية كانت تشكل دائماً في نظرهم وفي نظر سلفهم الوازع الجوهري الكافي لبلورة التعبير بلغة القرآن التي ظل المسلمون في كل مكان يعتزون ويفخرون بتعلمها ، بل إن المغرب عرف ظاهرة غريبة تدل على أن اللهجة البربرية لم تكن تعدو لوناً من الألوان الجهوية ، وهي استعراب فصائل بربرية وتبربر فلول من العرب فقدوا كل صلة بلغة الضاد لاستيطانهم بأقاصي البلاد ، على أن الأسرة كانت حتى في الأقاليم المعربة تتسم أحياناً بطابع غير عربي رغم إسلاميتها البليغة ، نظراً لكون المرأة التي هي عماد التكوين الأولى ظلت في منأى عن كل التيارات الفكرية الطارئة ، وهكذا يمكن القول بأن اللهجات البربرية من « **تشلحيت** » في الأطلس الصغير إلى « **تمازيغت** » في الأطلسين الكبير والأوسط قد واكبت لغة القرآن التي لم تغز معظم طبقات المجتمع البربري فحسب بل غزت اللهجة نفسها التي تطعمت حضارياً ودينياً بمصطلحات عربية كادت تفقدها أصالتها الأولى ، وإذا كانت البربرية قد

● تجلى تمسك الريفيين بالعروبة في إطلاقهم أسماء وأوصاف عربية على بعض المدن ، كالشام الصغير لقشتالة ، والبصرة قرب القصر الكبير ، وأطلق البرابرة اسم القاهرة على إحدى حواضرهم الأطلسية قبل القرن الثامن الهجري .

● إن من العبث الذي ننزه عنه قائدا مسلما في مثل جدية طارق أن يوجه خطابا خطيرا إلى جيشه الفتي بلغة لا يفهمها .

اقتبست منذ عهود عريقة ترجع إلى حكم الفينيقيين أو إلى الفتح العربي جملة من الألفاظ والتعابير الجاهلية فإن التطورات التي توالت على المغرب من بداية العصور الوسطى إلى الفترة المعاصرة التي نعيشها في القرن العشرين قد أحالت البربرية إلى لهجة قد لا يتعرف على معالمها لو عاد إلى الوجود بربري مكث في رمسه ألفاً من السنين ، فهناك كلمات ظاهرة المصدر العربي الجاهلي تندرج في ضروريات الحياة البدائية ، وتعتبر من أبرز مقومات اللغة في المجتمعات البشرية الناشئة كان البرابرة يستعملونها منذ أعرق العصور في مخاطباتهم اليومية حيث لم يكن يوجد عندهم ما يستعاض به عنها ، وإن أول ما يبده الباحث في « **الشلحة** » كما لاحظ السيد **المختار السوسي**[١٦] عندما يقابلها بالعربية أشياء منها :

١ ـ **أنه يجد مخارج الحروف متساوية في اللغتين ، حتى حرف الضاد ، فإنه ينطق به عند الشلحيين كما ينطق به عند العرب .**

٢ ـ **إذا أردنا أن نعرف مقدار ما في الشلحة من العربية فلنتتبع المصطلحات المتعلقة بالمنزل واللباس والمركوب وأحوال الإنسان وما إليها من ملابسات شخصية فإننا سنلمس هذا التأثير القوي ، ففي المنزل مثلاً نلاحظ توافر ألفاظ منها : الموضع والبيت والباب والعتبة والشرجب والقفل والمقصورة والحش والأروى والهرى والصهريج والساقية والخابية والحانوت والقوس والكرة والدكان والقنديل والفتيلة ، وكذلك المجمر والقدر والمعلقة والصاع والكأس والسطل والبراد والمرجل والمائدة والموسى والمغسل والفوطة والجراب والأشفى والكسوة والقشيب والدراعة والملحفة والإزار والفراش والمخدة والزريبة والسراويل والأبزيم والمضمة والصدرة والجبة والخيط والحرير والقطين والسدى .**

كما نجد حول (المركوب) :

الحلس والقنب والحمل والركاب والمهماز والجوالق والشكال واللجام والسمط .

أما تطورات الشخص في أحواله فإن المفردات الملحقة بها تتلخص في بد وذرى والحزن والفرح والقلق والجري والذهاب والمقل (**النظر بالمقلة**) والاحتباء بالثوب والحنان والهدوء والهدنة والصلح .

فهذه كلها تستعمل عن نسق استعمالها العربي في أصل المعنى .

فاليافوخ والقلة والمقلة والصماخ واللسان والمنخر والشعر والرئة والترب والرجل والبطن والعرق والخزر يقصد بها الشلحي ما يقصده العربي .

ثم إذا ملنا إلى الأشجار وما إليها من النبات نجد عندهم : الشجر والزيت والإدام والكون والجزر واللوبيا والحمص والبلح والباكور والكراويا والقصيل والابزاز والزبيب . .

وهكذا نجد في كل ناحية من مناحي حياة الشلحيين ألفاظاً عربية كثيرة التداول في كلامهم ، منها ما هو جامد لا يدخله التصريف فيأتون منه بالماضي والمضارع والأمر والوصف والمصدر . فإنها ـ وكلمات كثيرة قد تعد بالمئات ـ لا يكاد يعرف أن لها أصلاً في العربية الآن إلا من خالط قواميس اللغة العربية ـ وإلا ، فقد يسمع سامع إطلاق الشلحيين لفظ أزبل على الشعرة ، فلا يجول في ذهنه أن أصل الكلمة السبلة التي بمعنى الشعر قلبت السين زاياً .

وهذا التأثير يقوى في الكلمات الدينية التي هي سيل طافح ، فقد التهمت الشلحة كل الألفاظ التي تؤدي المعاني المتعددة في الصلاة والزكاة والصوم والحج .

وهذا الباب الديني كثير جداً ، وغالبه معرف بالألف واللام حتى صحت القاعدة التي تقول : **إن كل لفظة جامدة في الشلحة بدئت بالألف واللام فإنها عربية الأصل** .

وربما شلحوا جملة عربية تامة كقولهم : ما تريد ما زكانتك ارياتا ، ومما اتفقت فيه اللغتان حرف « **كاف** » الخطاب فإنه يستعمل في الشلحة استعماله في العربية .

وكذلك ما الاستفهامية ..

على أنه قلما تكون جملة أو جملتان متصلتان من الشلحة إلا وتجد فيهما أثراً من العربية .

ومن الصعب التمييز بين العناصر العربية المختلفة التي تسربت إلى المجتمع البربري إلا أن في وسعنا ارتكازاً على نوع المؤثرات الفصل بين ضروب العوامل ومستلزماتها ذلك أن **لغة القرآن ظلت محدودة الأثر في العصور الأولى بالنسبة للعربية البونية العتيقة بينما بدأت المعطيات تتزاوج منذ العصر البربري بين عربية الحواضر المغربية وعربية الأندلس لتنتشر وتسود في معظم الواحات والسهول و الممرات والمجازات تحت شارة لهجات عربية بدوية أصيلة** ، فإذا أخذنا ناحية الشمال في جبالة والريف وسهول الهبط كمثال لتبلور التعريب في بداية القرن العشرين فإننا نلاحظ[١٧] وجود قبائل

هل العربية لغة المغرب العربي؟

بربرية يستعمل رجالها العربية بينما احتفظت نساؤها بتمازيغت ، وتبلغ أحياناً نسبة المتعلمين الذين يقرأون ويكتبون فيها ثلاثة أرباع الرجال بينما يحفظ عدد من النساء القرآن ويدرسن الحديث والفقه ، كما هو الحال في جبالة « **وقبيلة الأخماس** » بل هناك مناطق بربرية في قلب غمارة المصمودية مثل بني كرير لم يكن فيها أمي واحد ، ويهاجر طلبتها لأخذ العلم في تونس ومصر والشام ، وبعضهم يقتصر على السياحة داخل الريف للتدريس والمشارطة[١٨] ضمن كتاتيب ومدارس أولية مختلطة ، وكثيراً ما تكون قبائل بربرية ، مثل : بني مسارة وبني أحمد السرق مهبط رواد العلم يتوافدون جماعات ووحداناً من الجزائر وطرابلس وتونس وكورارة بالصحراء الجنوبية المتصلة بشنقيط حيث أدركت المرأة تحت ظل الإسلام مستوى في الثقافة العربية يكاد يكون فريداً في العالم الإسلامي إذا استثنينا مصر وربما تونس[١٩] **وقد تجلى تمسك الريفيين بالعروبة في إطلاقهم أسماء وأوصافاً عربية على بعض المدن ، كالشام الصغير لقشتالة ، وقبيلة الخلفاء في بني زروال ، ومدينة البصرة قرب القصر الكبير ، بل إن البرابرة أطلقوا اسم القاهرة على إحدى حواضرهم الأطلسية قبل القرن الثامن الهجري .**

وما حرب الريف سوى انتفاضة انطلقت بزعامة البطل محمد بن عبدالكريم ضد الزحف الصليبي الذي تشكل بشتى الألوان لتمزيق وحدة البلاد ، وفصل البربر عن العرب ، وتحظير التخاطب بلغة القرآن في الأطلس التي أقام بها مدارس بربرية وضع لها معاجم بالحروف اللاتينية ، وكون محاكم عرفية استئصالاً للشريعة الإسلامية وتمهيداً للتنصير العام بمقتضى الظهير (**أي المرسوم**) البربري [١٦ مايو (أيار) ١٩٣٠م] الذي كان بداية وعي بخطر داهم يهدد كيان البلاد ، فلم تزد سياسة التفكيك الاستعمارية كلًّا من العنصرين سوى شعور بحتمية وحدة لم يحسوا قط طوال ألف عام من الاستقلال بإلحاحها ، فانبروا جميعاً ، رغم الحواجز المفتعلة ، والقمع الجماعي ، والاعتقالات العارمة إلى ترصيص صفوفهم ، وإبراز وحدتهم التي كانت فوق كل اختلاف سطحي في اللهجات ، والانضمام « **لكتلة العمل الوطني** » ضمن خلايا تغلغلت في أعماق الأطلس والصحراء من أجل استعادة السيادة والاستقلال الذي ما لبث أن وحَّد لغة التعليم ، **واتخذ من لغة القرآن لغة لدستوره ومراسيمه في مختلف مجالات الحياة .**

هوامش ومراجع :

(١) البربر أرومتان : برانس وبترو هؤلاء ساميون كانوا يقطنون الشام ، بينما يرى معظم النسابين أن البرانس يمنيون ، وقد انتقد ابن حزم في جمهرته وابن عبد البر في تمهيده وتبعهما ابن خلدون في تاريخه [١٠٦/٦ و ١٦/١] حميرية صنهاجة وكتامة ملاحظاً استحالة مرور أفريقش الحميري ملك اليمن من السويس الذي هو في نظره الطريق الوحيد إلى أفريقيا ، ومن الصعب إثبات ما نفاه ابن خلدون لعدم وجود نص صريح إلا أن مستنده غير مقطوع به لا سيما إذا اعتبرنا احتمال مرور الحميريين عن طريق الضفة العربية للبحر الأحمر ومنها إلى « التشاد » المجاورة للصحراء المغربية خاصة وان الحسن الوزان المعروف بـ « ليون الافريقي » ذكر أن التجار كانوا يمرون من هذه الطريق في القرن العاشر الهجري فراراً من قراصنة الساحل ، وقد تاكد أن اليمنيين كانوا يعبرون بحر « القلزم » إلى افريقيا حيث استثمروا مناجم الذهب في روديسيا حسب آثار منقوشة كشف عنها الدكتور استانلي تيمبور قرب نهر زمبر ، وقد عثر على نقوش مكتوبة بالحميرية في قرطاجة وتونس ودكار .. أضف إلى ذلك تجانس الكثير من العادات في المغرب واليمن .

(٢) راجع مجلة « تقويم المنصور » للأستاذ توفيق المدني [عام ١٣٤٣هـ] حيث نشر صورة للرخامة وكذلك بحثاً حول كشف الفينيقيين للبرازيل قبل ٢٧٥٠ سنة من تاريخ كشفها المعروف ، وكتاباً حول وصول الفينيقيين إلى كولومبيا لإبراهيم هاجر صدر بالإسبانية في بونس - آيريس بالأرجنتين (مجلة المعرفة [عدد١٠] دمشق) .

(٣) مثل GAVTIER مؤلف : « العصور الغامضة في تاريخ المغرب Les Siecles obscurs du Maghreb » و « عادات وأعراف المسلمين MOEURS ET COV-TUMES DES MUSULMANS » ، وذلك خلافاً لما ذكره أبو سالم العياشي في رحلته (ج١ ص٥٣) من أنه « لا عربية في المغرب قبل الإسلام اتفاقاً » .

(٤) أفريقيا الشمالية - كوتيي (ص١٤٨) .

(٥) شلوش (SHLUCH) في كتابه VOYAGE D'ETVDES JUIVES EN AFRIQUE DU NORD .

(٦) « الاستقصاء » للناصري (ج١ ص٣٢ نقلاً عن ابن خلدون) ، ويلاحظ أن اسم زعيمة جرارة هي الكاهنة .

(٧) (MICHAUX BELLAIRE) في محاضرته (CONFERENCES : ص٢٦٩) نقلاً عن شلوش اليهودي ، وقد لاحظ أن هذه الرواية تؤكد ما يتناقله المؤرخون من أن البربر مشارقة ، وأوضح بناءً على ملاحظاته الشخصية في ربوع الأطلس أوائل هذا القرن أن البربر يعتقدون أن أصلهم من المشرق .

(٨) من جملة المعابد مسجد أو رباط شاكر بماسة الذي يزعم العامة أن المهدي المنتظر سيخرج منه ، وشاكر هذا هو أحد أصحاب عقبة .

(٩) حسب ابن عذارى (البيان المغرب : ١/ ٣٧) وإن كان ابن بابا مؤرخ السودان يرى انه عندما غادر عقبة بلاد لمطة في الصحراء كان بعاصمة غانا اثنا عشر مسجداً (الإسلام في أفريقيا العربية - دوشا طوليبي ص٥٢ - عام ١٨٩٩م) ، وقد ذكر صاحب (ممتع الاسماع : ٧٢) أن مسجد « الشراقات » في قبيلة بني فلوات بناه طارق بن زياد .

(١٠) حسبما رواه ابن خلدون عن ابن أبي زيد القيرواني .

(١١) « عصور المغرب الغامضة » (ص٢٢١) .

(١٢) عثر في « ويلي » عام ١٩٥٢م على مائتين وواحد وثلاثين درهماً فضياً ودیناراً ذهبياً يتراوح تاريخ ضربها بين سنتي ٧٩ و ١٢٥هـ .

(١٣) ذكر ابن خرداذبه أن التجار الصقالبة في القرن الثالث كانوا ينتقلون من السوس الأدنى ، أي : المغرب الشمالي نحو أفريقية ومصر .

(١٤) تاريخ المغرب - طيراس ج١ ص١٩٨ - البصرة مدينة قرب القصر الكبير كانت مركزاً لإنتاج الكتان ، وقد اندثرت منذ القرن الرابع ، وقد أسس المرينيون أيضاً في فاس الجديد مدينة « حمص » لإيواء الأكراد الاغزاز .

(١٥) اعترف بذلك طيراس الذي يبرز دائماً الطابع البربري في تاريخ المغرب (ص٢٠٣) .

(١٦) أوصل صديقنا المرحوم المختار السوسي الألفاظ البربرية الدخيلة في العربية إلى اكثر من خمسة آلاف في دراسة مقارنة لا تزال مخطوطة ، وقد نشرنا قسماً منها في مجلة اللسان العربي (عدد٢ ص٣٢) ، واقتبسنا منه شفاهاً معلومات أدرجناها في كتابنا معطيات الحضارة المغربية (ج١ ص٥٨) .

(١٧) راجع كتابنا « معطيات الحضارة المغربية » الرباط ١٩٦٣م ص٥ حيث تحدثنا بإسهاب عن انتشار العربية في هذه الربوع ، واقتبسنا كثيراً من المعلومات من كتاب المغرب المجهول LE MAROC INCONNU الذي جمع فيه موليراس MOULIERAS عام ١٨٩٥م نتائج رحلة طويلة قام بها في تلك القبائل .

(١٨) وهو نظام يتشارط فيه الفقيه مع القبيلة لتعليم الأطفال مقابل مستوى خاص في السكن والمطعم والملبس .

(١٩) راجع كتاب « التعليم النسوي في موريطانيا » (١٩٥٢م) .